الفصل الرابع

رواية الشعر وتدوينه

المبحث الأول: رواية الشعر الجاهلي وتطورها

المبحث الثاني: تدوين الشعر وتوثيقه

obeikandl.com

المبحث الأول

رواية الشعر الجاهلي وتطورها

لقد وردت كلمة "رواية "في المعجمات العربية وتعني في مدلولها اللغوي القديم الحيوان الذي يحمل الماء من منابعه كالعيون والآبار، أو مساقطه كالأمطار والسيول..وغير ذلك.لهذا يقال للحيوان الذي يستقي عليه الناس راوية وفي هذا السياق قال لبيد بن ربيعة:

فتولَّوا فاتِراً مَشْيُهُمُ كَرَوَايَا الطَّبعِ همَّت بالوحل

فالروايا من الإبل الحوامل للماء، واحدتها راوية وفي هذا المعنى يقول الأعشى:

وتقوادهُ الخيلَ حتى يطُو لَ كَرُّ الرُّواةِ وإيغالها

فالرواة هنا من يقومون على الخيل، مفردها راوٍ وكذلك تعرف المزادة المصنوعة من الجلد بالراوية عندما تكون مملوءة بالماء أوأي إناء يستقى فيه الماء يقال له راوية.وحتى الرجل المستسقي يقال له راوية فصار الرجل الذي يحمل الماء يعرف بالراوية، وتعدد المعنى على كل من يحمل، فيطلق على من يحمل الديات راوية، وكذلك على من يحمل هموم الناس وأعباءهم من سادة القوم يقال له: راوية(1) وقد جاء في النثر الجاهلي قال رجلٌ من بني تميم ذكروا قوماً أغاروا عليهم " لقيناهم فقتلنا الروايا وأبحنا الزوايا"(2) أي" قتلنا السادة وأبحناالبيوت"..ومن يحمل الشعر في لوح الحافظة يقال له راوية.وميزوا جمعها فقالوا: رواة هي تعني كل شخص يحفظ شعراً أو ينشده أو يلازم شاعراً ويحمل عنه شعره أو يستظهر شعر قبيلة بعينها ويرويه فيقال له راوية الشعر، " ولهذا المعنى سموا حامل الشعر والحديث راوية"(3). وعلى هذا الأساس صارت الرواية تطلق على كل ماحمل، والراوية على الدابة التي تتخذ لحمل المتاع إطلاقاً وقد قال زهير:

يسيرون حتى حبسوا عند بابه ثِقالَ الروايا والهجانَ المناليا

---

(1) ينظر: لسان العرب، الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري 315/1.

(2) أساس البلاغة (روى) وينظر:مصادرالشعر الجاهلي، ص188، وتاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، ص72-73.

(3) الحيوان، الجاحظ،333/1.

openkanal.com

وفي هذا السياق يقول الدكتور عادل البياتي أن الناس لم يبعدوا "كثيراً عندما استعاروا لراوية الأشعار اسمه من راوية المياه وذلك لعلاقة الوظيفة بينهما، فقد كان روايا الماء أقرب الناس إلى سماع الشعر، وروايته حيث تلتقي القبائل عند موارد المياه، تنتظر كل قبيلة دورها في الورود، فتعرض كل منها آخر ما لديها من الشعر والأدب أمام الروايا من الرجال فينقلها هؤلاء إلى قبائلهم"[1] ولعل الدليل المهم الذي يجعلنا نعرف أن لهذا المصطلح أصلاً جاهلياً هو تلك الأبيات الشعرية المنتشرة في قصائد الشعراء الجاهليين أنفسهم ومحاوراتهم ومثل ذلك قول المهلهل" لما غدر به عبداه، وقد كبرت سنه وشق عليهما ما يكلفهما من الغارات، فأرادا قتله، فقال: أوصيكما أن ترويا عني بيت شعر، قالا وما هو ؟ قال:

مَنْ مُبْلِّغُ الحيين أن مهلهلاً   لله دركما ودر أبيكما

فلما زعما أنه مات قيل لهما :هل أوصى بشيء؟ قالا نعم، وأنشدا البيت المتقدم، فقالت ابنته: عليكم بالعبدين فإنما قال أبي:

مَنْ مُبْلِّغُ الحيين أن مهلهلاً   أمسى قتيلاً في البلاد مجندلا

لله دركما ودر أبيكما   لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فاستقرُّوا فأقرَّا أنهما قتلاه، ورويت هذه الحكاية لمرقش"[2] ولا ريب في أن مصطلح الرواية قد شاع عند الجاهليين والشعراء منهم على وجه الخصوص، فقد ذكروا ذلك في الأبيات الشعرية، فقد قال المسيب بن علس:

فَلأهْدِينَّ مَعَ الرِّياحِ قَصِيدَةً   مِنّي، مُغَلْغِلَةً إلى القَعْقاعِ

ترد المياه فلا تزال غريبة   في القوم بين تمثل وسماعِ[3]

ومن مجاز هذا الحمل أيضاً: حمل الشعر أو الحديث. فقالوا فلان راوية للأدب والشعر، وراو للحديث. وراوية الشعر في الجاهلية هو من يحمل شعر الشاعر وينقله ويذيعه، قال النابغة الذبياني:

---

(1) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، ص 72.

(2) العمدة 308/1. ومغلغلة: تتغلغل مسرعة في الأرض وتذهب كل مذهب.

(3) ينظر: طبقات فحول الشعراء 10/1.

obeikandi.com

ألكـــني يـــاعيينُ إليـــك قـــولاً   ســـتهديه الـــرواةُ إليـــك عـــني[1]

وقال عميرة بن جعل:

نـدمتُ علـى شـتمِ العشـيرةِ بعـدما   مضــت واســتتبّت للــرُّواةِ مذاهبِــهْ

فأصبحت لا أسـطيع دفعـاً لمـا مضـى   كما لايردُّ الـدَّرَّ في الضَّرعِ حالبُهْ[2]

فهذا سويد بن كراع العكلي يشبه قوافي شعره بسرب حيوان الوحش الأكبر وراح بعد ذلك يعالج هذه الصورةالفريدة معالجة الصنّاع الماهر فيقول:

أبيـــتُ بـــأبواب القـــوافي كأنمـــا   أصادي بهـا سِرْباً مـن الوَحشِ نُزَّعَـا

أُكالِئهُـــا حَتّـــى أُغـــرّسَ بعـــدما   يكـون سُـحَيْراً أو بعيـداً فأجمعـا

عواصـــي إلاّ مـــا جعلـــت وراءهـــا   عصـا مربـدٍ تغشـى نحـوراً وأذرعـا

أهبـــت بغـــر الآبـــدات فراجعـــت   طريقـــاً أملّتـــهُ القصـــائدُ مَهْيَعـــا

بعيـــدة شـــأو لا يكـــاد يردّهـــا   لهـــا طالـــبٌ حتـــى يكـــلَّ ويظلعـــا

إذا خفـــت أن تـــروى علـــيَّ رددتُهـــا   وراء الترامـــي خشـــيةً أن تطلعـــا

وجشـــمتني خـــوف بـــن عفـــان ردَّهـــا   فثقفتهـــا حـــولاً حريـــداً ومربعـــاً

وقـــد كـــان في نفســـي عليهـــا زيـــادة   فلـــم أرَ إلاّ أن أطيـــعَ وأســـمعـــا[3]

وفي الوقت نفسه يعبر عن مدى تنقيحه ومكابدته في الاختيار خشية من أن تروى قصيدته وتنتشر قبل أن تقترب من كمالها فيعيدها ثانية حتى تخرج في ثوبٍ قشيبٍ فلم يبارحها حتى تحقق مرامه.

وعن عمرو بن كلثوم يقول ابن قتيبة: "هو القائل: ألا هبي بصحنكِ فاصبحينا. وكان قام بها خطيباً فيما كان بينه وبين عمرو بن هند وهي من جيد شعر العرب القديم وإحدى السّبع ولشغف تغلِب بها وكثرة روايتهم لها قال بعض الشعراء:

(1) ديوان النابغة الذبياني، ص197.

(2) الشعر والشعراء 650/2.

(3) الشعر والشعراء 635/2، والأبيات في ديوان سويد بن كراع العكلي، ص 94 – 95 وأصادي: أداري ونزع جمع نازع وهو الغريب، أكالئها: أراغبها.، أهبت بها: دعوتها. الآبدات: المتوحشات. أملته: سلكته. والميهع: الطريق الواسع.

ألهى بني تغلبٍ عن كل مكرمةٍ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها من كان أولهم يالرجال لشعرٍ غير مسؤوم[1]

فهذه النماذج جميعها أكدت صحة هذا الاستنتاج الذي ارتأينا أن يكون لمصطلح الرواية ثم تطور المصطلح نفسه إلى غير الشعرمن فنون النشاط الذهني فيقال مثلاً رواة الحديث ورواة الأخبار والقصص والأثر..إلى ما هنا لك. ولاريب في أن الحديث عن الرواية قد بلغ أوجه في الدراسات العربية والنقدية على وجه الخصوص، فقد أسهمت بهذه المهّمة دراسات تبعث على الإجلال والاحترام[2] ولرواية شعر ما قبل الإسلام أهمية كبيرة في تاريخ الأدب العربي فقد ركّزت في حمل الشعر على الألسنِ شفاهة من جيل إلى جيل حتّى عصرنا الحاضر الذي مازال الشعر في أغلبه متواتراً ومكتوباً في لوح الحافظة على الرغم من كثرة المصادر والمراجع التي حملت الشعر في مظانها. لذلك ظلت الرواية حتى بعد عصر التدوين ذات مكانة متميزة، لا سيما الرواية عن الأعراب والأخذ منهم، ولكنها بدأت أو كادت تفقد مركزها بعد فساد ألسنة الأعراب من جهة، واعتماد المؤلفين والعلماء على الكتاب مصدراً مهماً من جهة أخرى. وحتى الذي يعتمد التدوين فالذي يدونه قد حفظه عن ظهر قلب لأن المتلقي لا يريد أن يسمع إلا من لوح الحافظة، والارتجال كان الركيزة الرئيسة للإنشاد، فضلاً عن أن الرواية تفتح للراوي أبواباً كثيرة فتدفعه إلى منصة فحول الشعراء وعلى هذا يقول الدكتور شوقي ضيف عن رواية الشعر الجاهلي أنها" كانت هي الأداة الطيعة لنشره وذيوعه وكانت هناك طبقة تحترفها احترافاًهي طبقة الشعراء أنفسهم، فقد كان من يريد نظم الشعر وصوغه يلزم شاعراً، ويروي عنه شعره، وما يزال يروي له ولغيره حتى ينفتق لسانه، ويسيل عليه ينبوع الفن والشعر" [3].

---

(1) الشعر والشعراء 236/1.

(2) منها: مصادر الشعر الجاهلي للدكتور ناصر الدين الأسد، والأصمعي وجهوده في رواية الشعر لإياد عبد المجيد إبراهيم،والاتجاهات الفنية في رواية الشعر الجاهلي (دراسة نظرية وتطبيقية) أ طروحة دكتوراه، الدكتور صالح الصايلي.

(1) تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)، ص142.

ولكن لا يعني أن الرواة لا يتدخلون في إصلاح الشعر القديم ولكنهم كانوا يوجهون بعض النصوص ويهذبونها بدليل أن الأصمعي روى أبياتاً لجرير على خلف الأحمر حتى وصل إلى قوله:

فيالك يوماً خيره قبل شره تغيب واشيه وأقصر عاذله

فقال له خلف: ويله! وما ينفعه خيرٌ يؤول إلى شر؟ قلت له: هكذا قرأته على أبي عمر فقال له خلف: صدقت، وكذا قاله جرير.. وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ وما كان أبوعمرو ليقرئك الاّ كما سمع فقلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال:

فيالك يوماً خيره دون شرّهِ تغيب واشيه وأقصر عاذله

فاروه هكذا؛ فقد كانت الرواة قديماً تصلح من أشعار القدماء، فقلت والله لا أرويه إلا هكذا."(2) وهذا يؤكد أن الرواة يتدخلون في إصلاح الشعر، وكان يتطلب منهم جهداً جهيداً وإلماماً كبيراً بأشعار العرب وأخبارها وأنسابها فضلاًعن العلم والمعرفة، فقد كانوا في الأغلب الأعم على هذه الحال.

وهكذا كان شاعر عصر ما قبل الإسلام ينشد قصيدته فتعلق في الأذهان عن طريق الرواية المباشرة المتواترة كما أن الشاعر ينشد قصيدته في أكثر من مجلس، وقد يغير أويحذف شيئاً من القصيدة سعياً إلى تنقيحها ليظهرها بغير مظهرها الأول وهذا بالتأكيد يؤدي إلى اختلاف في الرواية. والرواة كما أشرنا أنهم كثيرون ويتصدرهم الشعراء، فقد كان كل شاعر راوية لشاعرٍ، وكان من الرواة أبناء الشاعرأو أقاربه، وقد يصل الأمر إلى مجموعة كبيرة من أفراد عشيرته أو قبيلته وقد يتجاوز ذلك إلى أبناء قبائل أخرى. فالخنساء على سبيل المثال تروي لها ابنتها (عمرة) التي كانت شاعرة، وتروي شعر أمها. وابن حفيدها (حفص بن قيصر بن عمرة) كان مرجعاً لرواية شعر جدته ورجال آخرون من قبيلتها مثل (عرّام السلمي)

(2) الموشح، ص 198- 199 وروي في ديوان جرير، ص 576 "وذلك يوم خيره دون شره".

openkanar.com

و(شجاع السلمي) كانوا رواة يوثق بروايتهم، وقد اعتمد الرواة على رواة بني سليم في صنع ديوان الخنساء كأبي عمرو بن الأعرابي"[1].

ويروى أن للأعشى ثلاثة رواة ولم نجد شاعراً جاهليّاً أو إسلاميّاً أو أمويّاً، إلاّ وقد كان راويةً لشاعرٍ اقتدى بهِ وجعله إماماً له وأستاذاً يتتلمذ عليه، وقد كان للصلة أثرٌ في الرواية. ولو تتبعناها أي الصلة بين شعراء الجاهلية لوجدنا الكثير منهم ذوي رحم[2]. والحق أنه سُجِّلَ لهذه الأمة أن تحفظ تراثها الأدبي الجم عن طريق الحافظة والذاكرة، وفي هذا السياق يقول الدكتور محمد أبو الأنوار:"وقد رأينا للشعراء الجاهليين الكبار رواة يقفون أنفسهم على حفظ أشعارهم وغيرها. ولعل المتأمل الدقيق يكشف لنا عن حكمة إلهية عليا في صياغة هذه الأمة على هذا النحو في العناية بفن الرواية وشغفها بهِ وحرصها عليه، لأنه سبحانه وتعالى كان يعدُّها لتلقي القرآن الكريم، وحفظ السنّة المطهرة فاستقبلته ذواكرهم ما تحرص عليه العناية، بحفظ الكلمة الأدبية، ومراوحة ترديدها، ومن ثم سهل فيهم وإلى اليوم حفظ القرآن الكريم، إلى المدى الذي جعلَ الرسول الكريم ﷺ بعد تدوين القرآن الكريم ومراجعته مع جبريل (عليه السلام) يعرضه أيضاً على الحفظة في حضرة كتاب الوحي"[3]. وهذا الموقف يسجل القيمة المعنوية والفنية لحفظ الرواية ومستواه في رجالات هذه الأمة و"التي كانت بحاجة واسعة إلى أن تكون مؤهلة مدربة موثوق بدربتها لتحفظ لنا حديث رسول الله، وقد حدثت، وأعود فأكرركأنما الله أهل عقلية هذه الأمة في العصر الجاهلي لتكون عقلية حافظة واعية عارفة بفنون الرواية والتوثيق لأنها ستحمل أمراً أشد خطراً وأعظم أثراً من الشعر والحكمة والأنساب وهو تلقي القرآن الكريم وحي الله ورسالته إلى الإنسانية عامة، وكذلك حفظ السنة النبوية المطهرة"[1].

---

(1) ديوان الخنساء، ص 24.

(2) من قضايا الأدب الجاهلي، الدكتور محمد أبو الأنوار، ص 157.

(3) م. ن، ص157.

(1) من قضايا الأدب الجاهلي، ص 109.

obeikandl.com

والحق أن الرواية الشفوية للشعر الجاهلي قد تبلورت عن حاجة ثقافية وضرورة انتهجت على المستوى الرسمي كما تفيد أخبار الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ وقادة الدولتين العربيتين الأموية والعباسية، وإلى يوم الناس هذا. وقد زاد من فاعلية الاتجاه الشفوي الفاعل للرواية ارتباطه بحلقات المساجد والأوساط الأخرى(□). فقد كان النبي الكريم ﷺ يدرك قيمة الشعر وروايته في نفوس العرب وما جبلوا عليه من حب وتذوق حتى قال: "لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين"(بر).لقد اختار الرسول ﷺ لفظة حنين الإبل مقابلاً بها إنشاد الشعرعند العرب لأن الحنين صوت متأصل في طباع هذا الحيوان الأليف والرؤوف والمبارك جبل عليه منذ خلق للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره تجاه قطيعه وموطنه في حالة الغربة وبعد اللقاء.وكذلك إنشاد الشعر عند العربي فهو متنفسه في وقت الكرب والنأي عن الموطن والحبيب، وهذا دليل على أن الرواية لم تتوقف في عصر صدر الإسلام، فقد قيل للحسن البصري "أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزحون؟ قال: نعم، ويتقارضون من القريض وهو الشعر"(تر)، وقال جابر بن سمرة: "جالست رسول الله ﷺ أكثر من مئة مرة، فكان أصحابه يناشدون الأشعار في المسجد وأشياء من أمور الجاهلية فربما تبسّم رسول الله ﷺ (ير) والأخبار عن رواية الشعر في صدر الإسلام كثيرة ومتنوعة. وقال أبوبكر لرسول الله: " بأبي أنت، ما أنت بشاعر ولا راوية ولا ينبغي لك ".

وكان عمر ﷺ "لا يكاد يعرض له أمر إلاّ أنشد فيه بيت شعر"(سم) ومشى أغلب الصحابة على هذا المنوال، ويروى عن عائشة أنها قالت "إني لأروي ألف بيت للبيد، وإنه أقل ما أروي لغيره"(شم) وقالت:" روّوا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم"(□).

---

(2) ينظر: الأغاني 103/6 ومعجم الأدباء 243/4.

(3) العمدة 3/1.

(4) الفائق في غريب الحديث والأثر، جار الله الزمخشري 229/2.

(5) البيان والتبيين 1/ 45، 229- 241 والأغاني (دار الكتب) 38/4، 1. / 288- 291، 4/11-5.

(1) م.ن: 241/1.

(2) العقد الفريد 275/5.

obeikandi.com

على أن رواية الشعر في صدر الإسلام لم تتوقف، وأنها كانت على قدر من الصحة والثقة. وكان المقداد بن الأسود يقول "ما كنت أعلم أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها ".[بر] ولا يعني أن الرواة جميعهم أهل ثقة فهناك الموثوق بروايته وهناك المشكوك في روايته، وقد كان الحطيئة يقول: " ويلٌ للشعر من راوية السوء"[تر].

ألا يكفي ذلك تأكيداً بأنَّ الرواية في عصر صدر الإسلام كان لها أثرٌ كبير في نقل الشعر وتقييده في الأذهان.

ونخلص من هذا إلى أن رواية الشعر لم تتوقف في عصري صدر الإسلام وبني أمية والعصور اللاحقة بل إنها أي الرواية ظلت "منهلاً رافداً يزود منها الشاعر حصيلته الثقافية فهي بهذا تلمذة وتحصيل علمي بشكل ما."[ير] فالشاعر لا يكون شاعراً كبيراً يعرف مسالك الشعر وعيوبه ومداخله ومخارجه مالم يحفظ الكثير من شعر غيره[سم] ممن سبقه أوعاصره ويرويه لأنه يجمع بهذا الحفظ وبتلك الرواية "إلى جيد شعره معرفة جيد شعر غيره فلا يحمل نفسه إلاَ على بصيرة"[شم] وقد نبه ابن قتيبة على ذلك بقوله " إذا أردت أن تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه"[له].

وقد كان لمجالس خلفاء بني أمية والرواة في العصر الأموي أثرٌ فاعل في توجيه الشعر وروايته وإنشاده، وكان في هذا العصر عدد من رواة الأشعار والأخبار منهم عبيد بن شرّية الجرهمي، وقد كان معاوية يصغي إليه إذا حدّثه ويستزيده ويسائله وكان من حديثه وكثرة حفظه وعلمه وحضور بديهته ويقال إنه كان يأمر أن تقيد

---

(3) م.ن 275/5.

(4) م.ن 274/5.

(5) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، ص 169.

(6) شعر أوس بن حجر ورواياته، الدكتور محمود الجادر، ص 144.

(7)ينظر: كفاية الطالب في نقد كلام الشعر والكاتب، ضياء الدين ابن الأثير، ص 43.

(8) م. ن، ص 24.

(9) عيون الأخبار، ابن قتيبة 129/2.

obeikandl.com

أحاديثه(□)، فمعاوية كان يقول لابنه "أروِ الشعر وتخلّق به"(بر) وأمرَ الرواة أن ينتخبوا له قصائد يرويها ابنه فاختاروا له اثنتي عشرة قصيدة منها المعلقات(تر)، فضلاً عن روايته هو للشعر وتأنيبه لزياد بن أبيه على عدم رواية الشعر لولده يقول: "ما منعك من أن ترويه الشعر فوالله إن كان العاق ليرويه فيبر، وإن كان البخيل ليرويه فيسخو، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل"(بر).

أما عبد الملك بن مروان فقد كان يروي الشعر منذ صباه(سم) ولما صار خليفة له آراء كثيرة تحث على رواية الشعر(شم) فهو مؤمن بأن رواية الشعر تلمذة تغرس في النفوس مكارم الأخلاق التي نشأ عليها العرب وفاخروا بها الأمم الأخرى. فهو يعجب لمن يروي لعنترة أربعين بيتاً ولا يكون أشجع الناس، ولحاتم الطائي مثلها ولا يكون أسخى الناس وللبيد بن ربيعة مثلها ولا يكون أحكم الناس، فضلاً عن ذلك فهو يوجه مؤدبي أبنائه ويبيّن لهم أن رواية الشعر للأبناء وتعلمهم إيّاه تجعلهم يسمحون ويمجدون وينجدون(لم) وقال لمؤدب ولده في وصيته إيّاه "وعلمهم الشعر يحمدوا به"(□).

ويتبين مما سبق أن الرواية رافدٌ مهمٌ من روافد ثقافة الشاعر وحبه للشعر وتذوقه.

ويروى أنَّ الوليد بن يزيد بعث كتاباً لأمير الكوفة مؤداه أن يرسل إليه حماداً الراوية، ففعل ذلك، ولما وصل إليه حماد سأله: "أنت حماد الراوية؟ فقلت له: إن الناس ليقولون ذلك. قال: ما بلغ من روايتك؟ قلت أروي سبعمائة قصيدة أول كل

---

(1) ينظر:الفهرست، ابن النديم، ص132.

(2) البرهان في وجوه البيان، ابن وهب، ص 169.

(3) ينظر: المنثور والمنظوم، ابن طيفور، ص 40 – 41.

(4) العقد الفريد 108/6.

(5) ينظر: امالي المرتضى 176/1، 249- 25. والأغاني 23/9.

(6) ينظر: نصيحة الملوك، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي تحقيق حمد جاسم الحديثي 31.

(7) ينظر: عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة 2/ 167، والعقد الفريد 6/ 108.

(8) الاغاني 101/6.

obeikandl.com

واحدة منها: بانت سُعاد؛ فقال إنها لرواية.. فقال أنشدني، فأنشدته"[1]. ويروى أنه عندما سأله الوليد: لم سميّتَ الراوية؟ وما بلغ حفظك حتى استحققت هذا الاسم؟ قال له: يا أمير المؤمنين إن كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً أنا أنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهليين. قال إنَّ هذا لحفظ (هات فاندفع ينشد حتى ملّ الوليد، ثم استخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال فأحسن الوليد صلته وصرفه، فأنشد ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين فقط..وأمر له الوليد بمائة ألف درهم[2].

ومما لاريب فيه أن حماداً الراوية كان يعد من أوائل من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها[3] وعلى الرغم من إضطراب شخصيته بين معاصريه، فقد أجمعوا على كثرة محفوظه وسعة روايته، فقد قال عنه الأصمعي: "كان حماد أعلم الناس إذا نصح"[4] وفي تلك إشارة إلى عدم الثقة في رواية حماد وفيها اعتراف بعلميته وثقافته وحفظه، أما المفضل فقد قال عنه " قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً. فقيل له كيف ذلك؟ أيخطىء في روايته أو يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلايزال يقول الشعر ويشبه به مذهب الرجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد.وأين ذلك".[5] وكل تلك لم تقلل من شأن حماد والأروع من هذا شهادة أبي عمرو بن العلاء فقد ذكر أبوعمرو الشيباني أنه "ماسئل أبوعمرو بن العلاء عن حماد الراوية إلا قدمه على نفسه، ولاسألت حماداً عن أبي عمرو إلاقدمه على نفسه".

---

(1) م.ن 101/6.

(2) ينظر م.ن 102/6.

(3) معجم الأدباء، ياقوت الحموي 137/4.

(4) الاغاني 79/6.

(5) م. ن 99/6.

obeikandl.com

وتأسيساً على هذا كان لكل شاعر راويه الخاص، ولم يكن إنشاد الشعر حصراً على الشعراء فحسب، فقد يجتمع رواتهم ويتناشدون الشعر ويفضلون بين الشعراء ويتفاخرون، ويروى أن عدداً منهم اجتمعوا بالمدينة، وهم راوية جرير وراوية الأحوص وراوية نصيب وراوية جميل وراوية كثير وادعى كل رجل منهم أن صاحبه أشعر. غير أن الفرزدق فيما يبدو أكثر شعراء العصر الأموي رواية للشعر الجاهلي بعامة وشعر امرىء القيس بخاصة؛ لأنه كان " حافظاً لأخباره، ويعلل العلماء كثرة روايته لشعر امرىء القيس وأخباره بأن امرأ القيس صحب عمه شرحبيل بن الحارث قبل يوم الكلاب، وكان شرحبيل مسترضعاً في بني دارم رهط الفرزدق فلحق امرؤ القيس بعمه، فلذلك حفظ الفرزدق أخباره، فضلاً عن أن بعض أخبار الفرزدق عن امرىء القيس متصلة إلى الجاهلية نفسها وربما إلى عصر امرىء القيس نفسه، فالفرزدق يذكر أن جده قد حدثه بها، وجده شيخ كبير وهو يومئذ غلام حافظ لما يسمع، وقد أثنى الجاحظ على رواية الفرزدق وشاعريته وقال: "إن الفرزدق راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم" (1) في حين ذهب يونس بن حبيب إلى أبعد من هذا فقال: " لولا الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس"(2) فهل أبلغ من هذا في الدلالة على مبلغ علم الفرزدق بأيام العرب وأخبارهم وشعرهم ؟ بل حسبنا أن نذكر قصيدته اللامية فإن مافيها من تعداد لفحول شعراء الجاهلية، وأخبارهم ونقدات سريعة لشعرهم، دالٌ أبلغ الدلالة على معرفته وخبرته واطلاعه بشعراء الجاهلية وبشعرهم، فقد قال:

وهْبَ القصائدَ لِي النَّوابغُ قد مضوا ... وأبو يزيدُ وذو القروح وجرولُ

والفحل علقمةُ الذي كانت له ... حلل الملوكِ كلامهُ لا ينحلُ

وأخو بني قيسٍ وهنَّ قتلْنَهُ ... ومهلهِلُ الشعراء ذاكَ الأولُ

والأعشيان كِلاهما ومُرَقِّشٍ ... وأخو قضاعة قولهُ يتمثَّلُ

وأخو بني أسدٍ عبيدٌ إذ مضى ... وأبو دُؤَادٍ قولهُ يتنحَّلُ

---

(1) البيان والتبيين 322/1.

(2) النقائض،ص 274 وينظر مصادر الشعر الجاهلي، ص 229.

openkanal.com

وابنـــا أبـــي ســـلمى زهـــيرٌ وابنـــه ... وابــن الفريعــةِ حِــين جَــدَّ المِقْــول

والجعفـــــريُّ وان بشـــــرٌ قبـــــل ... ي مـــن قصـــائده الكتـــاب المجمـــلُ

ولقـــد ورثـــتَ لآل أوسٍ مَنْطقـــاً ... كالسـم خـالط جانبيـه الحنظـلُ

والحـــارثيُّ أخـــو الحمـــاس ورثتـــهُ ... صدعاً كما صدع الصَّفاة المِعْولُ [1]

وهناك قصيدة لسراقة البارقي اقتربت من قصيدة الفرزدق في جوانب فنية وموضوعية ويتجلى ذلك في معانيها وألفاظها وقافيتها، إذ إن وجه الشبه بين القصيدتين بيّن وواضح في تعداد أسماء الشعراء وذكر طرف من أخبارهم ونقد شعرهم. يقول سراقة:

ولقـد أصبتُ مـن القـريضِ طريقـة ... أعيـتْ مصـادرها قـرين مهلـهلِ

بعـد امـرىء القـيسِ المنـوَّهِ باسمـهِ ... أيَّـمَ يهـذي بالـدخولِ فحومـلِ

وأبـــودُؤَادٍ كـــان شـــاعر أمَّـــةٍ ... أفلـــت نجـــومهمُ ولمّـــا يأفـــلِ

وأبـــو ذؤيـــبٍ قـــد أذلَّ صِـــعابَهُ ... (لا ينصـــبنَّكَ) رابـــضٌ لم يُـــذللِ

وأرادهـــا حسّـــان يـــوم تعرَّضـــتْ ... بـردى يصـفَّق بـالرحيقِ السلسـلِ

ثـــمَّ ابنـــه مـــن بعـــدهِ فتمنَّعَـــتْ ... وإخـــال أنَّ قرينـــه لم يَخـــذلِ

وأبـــو بـــني ســـلمى يُقصِّـــرُ سـعيهمْ ... عنَّـــا كمـــا قصـــرتْ ذراعـــا جـــرولِ

وأبـــو بصـــيرٍ ثـــم لا يبصـــرُبها ... إذا حل في الـوادي القـريضِ بمحفـلِ

واذكـر لبيـداً في الفحـولِ وحاتمـاً ... سـيلومكَ الشـعراءُ إن لم تفعـلِ

ومُعقَّـــراً فـــاذكر وإن ألـــوى بـــهِ ... ريـــب المنـــونِ وطـــائرٌ بالأخيـــلِ

وأُميـــة البحـــر الـــذي في شـــعرهِ ... حِكـمٌ كـوحيٍ في الزبـورِ مُفصَّـلِ

واليـــذمريُّ علـــى تقـــادم عهـــده ... ممَّـــن قضـــيت لـــه قضـــاءَ الفيصـــلِ

واقـذِفْ أبـا الطَّمْحانِ وسْطَ خوانهم ... وابـــن الطرامـــة شـــاعرٌ لم يُجهـــلِ

لاوالـــذي حجَّـــتْ قـــريشٌ بيتَـــهُ ... لـــو شـــئتُ إذ حـــدثتكم لم آتـــلِ

مـــا نـــال بَحْـــرى مـــنهم مـــن شـــاعرٍ ... مِمَّـن سمعـتَ بـه ولا مستعجلِ [2]

---

(1) ديوان الفرزدق، ص 435. 436. وينظر: نقائض جرير والفرزدق 1/ 175. 177.

obeikandi.com

فالنصّان المعارِض والمعارَض اتفقا في التركيب الإيقاعي في كثير من لوازمه ومدلولاته.فالتأثير والتأثر ظاهرة قديمة لا يستطيع أن يفلت منها أحد من الشعراء إلاّ أنها تتفاوت في النسبة، وهذا التأثير قاد بعض الشعراء إلى الاعتراف بشاعرية سابقيهم وقد تعددت آراء الشعراء في ذلك كما رأينا غير أن الفرزدق حاول أن يسرد أسماء الشعراء الذين ورث عنهم الشعر في قصيدته المسمّاة بالفيصل يلمح في ذلك إلى فحولتهم أي أصالتهم في الشعر وخصب شاعريتهم[1].

وقد شهدت آخريات القرن الأول وبداية القرن الثاني ظهور طائفة من الرواة العلماء الذين أخذوا على عاتقهم جمع الشعر وروايته للناس، شأنهم في ذلك شأن القصّاصين والمحدثين في رواية الأخبار والحديث ومن أشهر هؤلاءِ الرواة أبو عمر بن العلاء(ت 154هـ) وهو أستاذ الرواية غير منازع، وحماد عجرد(ت 154هـ)، والمفضّل الضبي(ت 168هـ) وخلف الأحمر(ت 180هـ) وأبو عبيدة(ت 211هـ) والأصمعي(ت 216هـ) وأبو عمرو الشيباني(ت 213هـ) وأبو زيد الأنصاري (ت 215هـ) وابن سلاّم الجمحي (ت 231هـ) وأبو سعيد السكري (ت 275هـ) ومحمد بن حبيب (ت 245ه) وعلي بن عبدالله الطوسي (ت 250هـ) وابن السكيت (ت 244هـ) وثعلب الكوفي (ت 271هـ) وغيرهم. وهؤلاء هم العلماء والرواة الذين حفظوا لنا الشعر واللغة والأدب بوجه عام، فكانوا رواة ومفسرين حين يحتاج الأمر إلى تفسير.

وقد شدَّ هؤلاء الرحال إلى البوادي والأمصار يجمعون الشعر من أفواه الأعراب الفصحاء ويعودون به إلى الحواضر، وكان يأخذ بعضهم عن الآخر، وكانوا يمتازون بكثرة الحفظ وقوّة الذاكرة ومن هؤلاء من كان لا يكتفي بالاعتماد على

---

(1) ديوان سراقة البارقي، تحقيق حسين نصار،ص 64 . 71.

(2) والشعراء الذين ذكرهم الفرزدق جميعهم جاهليون ومخضرمون وهم ((نابغة بني ذبيان والجعدي ونابغة بني شيبان والمخبل واسمه ربيعة بن مالك وذو القروح امرؤ القيس بن حجر والحطيئة وعلقمة بن عبده الفحل وطرفة بن العبد ومهلهل بن ربيعة وأعشى قيس وأعشى باهلة ومرقش وأخو قضاعة وأبو الطمحان القيني وعبيد بن الأبرص وأبو دؤاد جارية بن حمران وحسّان بن ثابت وزهير بن أبي سلمى وابنه كعب، ولبيد بن ربيعة وبشر بن أبي خازم الأسدي وأوس بن حجر والنجاشي.

حافظته، بل كان يدوّن ما يسمعه كأبي عمرو الشيباني الذي جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة فقط سوى الشعراء. فكان كلما عمل شعر قبيلة وأخرجه إلى الناس كتب مصحفاً، وجعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه،وكان قد جمع دواوين امرىء القيس ولبيد بن ربيعة وتميم بن أبي مقبل ودريد بن الصمة والأعشى والحطيئة وغيرهم.وقد كان راوية واسع العلم باللغة، ثقة في الحديث، كثير السماع أخذت عنه دواوين أشعار القبائل كلها وله بنون وبنوبنين يروون عنه كتبه [1] وهذا دليل على تمحيص وتأصيل الشعر العربي وتشذيبه.

وقد توزعت الأهواء والميول في جمع الشعر. فبعضهم عني بجمع غريبه كما فعل المفضّل في المفضليات، وهي مائة وثلاثون قصيدة لستة وستين شاعراً عاشوا وماتوا في الجاهلية،وليس بينهم ألا عدد قليل من المخضرمين والإسلاميين الأولين، وتعد أقدم مجموعة شعرية وصلت إلينا ومن ميزاتها أنها لا تضم من الأشعار إلاّ ما كان قديماً، ومن ميزاتها أيضاً أن القصائد في هذه المجموعة قد أثبتت بتمامها، ولم يعمد المفضل إلى الاختيار والتفضيل بين أبيات القصيدة الواحدة ومن أهم ما تمتاز به هذه المجموعة أن اسم مؤلفها كان دائماً موضع الاحترام،فلم يطعن عليه أحد من معاصريه أو ممن جاء بعد في أمانته وصدقه؛ على كثرة من طعن عليه من رواة الشعر في ذلك العصر.وبعض الرواة عني بأراجيزالشعر، كما فعل الأصمعي في الأصمعيات، والتي تحوي على اثنتين وتسعين قصيدةلاثنين وسبعين شاعراً بينها عدد من المقطوعات القصيرة،وشعراء هذه المجموعة هم كشعراء المفضليات جلهم من الجاهليين القدماء. ومنهم من اتجه إلى جمع دواوين الشعراء، ويأتي في مقدمتهم الأصمعي الذي رتب دواوين النابغتين الذبياني والجعدي، وامرىء القيس، ومهلهل وبشر بن أبي خازم وكثير وغيرهم.، وهذا محمد بن حبيب يجمع أشعار ذي الرمة والفرزدق وجران العود والصمة القشيري. وهذا أبو الحسن الطوسي يجمع دواوين زهير،ولبيد، والأعشى، وحميد بن ثور،والطرماح والعباس بن مرداس وكذلك باقي الرواة: أبوسعيد السكري وابن السكّيت وابن الأعرابي وأبوعبيدة وخلف الأحمر

(1) ينظر: الفهرست لأبن النديم، ص 107.

obeikandl.com

وحماد الراوية، فلكل منهم عدد من دواوين القدماء عني بروايتها وجمعها حتى لا نكاد أن نسمع بشاعر لم يجمع ديوانه، اللهم إلاّ أن يكون الشاعر مقلاً أو من المغمورين[□].

ومما يتصل بأخبار الرواية أيضاً ما جاء في البيان والتبيين عن أخبار أبي عمرو بن العلاء فقد "كان أعلم الناس بأمور العرب، مع صحة سماع وصدق لسان"[بر] وقد قال الأصمعي "جلست إلى أبي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي"[تر] وروى أن أبا عمرو قال: "لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته"[ير] ويعني بذلك شعر جرير والفرزدق والأخطل واشباههما.

وفي القرن الثالث الهجري وما بعده ألّفت كتب أدبية ضمّت بين دفتيها فني الأدب: الشعر والنثر، فضلاً عن النقد[سم] أطال فيها أصحابها الوقوف عند الشروح النحوية واللغوية، فأخبار الرواة تثير الدهشة والإعجاب لكثرة ما حفظوا، إذ إن ما حفظوا من شعر الجاهلية وحدها يربو أضعافاً على ما ذكر للأمم الأخرى فاليونان لهم الإلياذة والأوديسا ولا يزيد عدد أبياتهما على الثلاثين ألفاً أما الهنود فعندهم المهابارته، وهي لاتعدو العشرين الألف، والرامايانة لا تزيد عن ثمانية وأربعين ألفاً، أما العرب فالشعر عندهم يعد بالقصائد بل بآلاف القصائد لا الأبيات، ولعل السبب الرئيس في تلك الشعرية المتدفقة اللغة العربية، فإنها لغة شعرية غنائية حافلة

---

(1) الفهرست، ص 80، 88، 107- 109، 123، 14. – 141، 203، 21.

(2) البيان والتبيين 1/320. 321.

(3) م. ن 1/32.- 321.

(4) م. ن 1/ 321.

(5) منها فحولة الشعراء للأصمعي، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام،والبيان والتبيين وكتاب الحيوان للجاحظ، والشعر والشعراء وعيون الأخبار وأدب الكتاب لأبن قتيبة والكامل في الأدب واللغة للمبرد والعقد الفريد لابن عبد ربه والأمالي لأبي علي القالي والأغاني لأبي فرج صبهاني والموشح للمرزباني والوساطة للقاضي الجرجاني والصناعتين لأبي هلال العسكري. والإمتاع والمؤانسة لأبي حيّان التوحيدي وأمالي المرتضى، للسيد الشريف المرتضى، والعمدة لابن رشيق القيرواني، ودلائل الإعجاز، واسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني ومؤلفات أخرى اعتمدت على الطبقات والموازنات والاختيارات.

بمفرداتها، غنية بمشتقاتها ومرادفاتها تطفح بمعانٍ ودلالات دقيقة، فضلاً عن جمال ألفاظها الثرية بأساليبها وإيقاعها وجرسها الذي يلائم الشعر ويوائم الموسيقى[1].

فالعرب أمة شاعرة انتشرت الشاعرية بينهم وغلبت عليهم، " ولشاعرية العرب واحتفالهم بالشعر، كان أن خلّف الشعراء في كل عصر شعراً وفيراً غنياً، لايحصى عدده، والشعر الجاهلي وحده يعجز الرواة عن حصره، غير الذي ضاع وعفى عليه الزمان"[2]. وقد ذكر ابن قتيبة أن أبا ضمضم أنشد شعراً لمائة شاعر كلهم اسمه عمر.

وروي أن الأصمعي كان يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة[3] وأنه قال: ما بلغت الحلم حتى رويت اثنتي عشرة ألف أرجوزة للأعراب[4].

ويروى أن أبا تمّام الطائي يحفظ من أشعار الجاهليين أربعة عشرة ألف أرجوزة غير القصائد والمقطعات[5].

ومع أننا نحتاط من مبالغة الرواة في محفوظاتهم إلاّ أننا لا نستطيع أن ننكر وفرة الشعر وغزارة ما يحفظونه، وأنَّ هذه الكثرة من الشعر تدل على اهتمام العرب بالشعر وتقديسهم إيّاه[6].

ونخلص من هذا إلى أن رواية الشعر لم تقتصر على عصر ما قبل الإسلام، ولم تنقطع بل ظلت مستمرة في عصر صدر الإسلام، ونشطت وازدهرت في عصر بني أمية حتى رست في القرن الثاني عند العلماء والرواة المحترفين الذين نهضوا بالرواية وعلوم العربية نهضة زاهرة، كان من شأنها أن جمعت الشعر ودونته وألفت فيه شتى المؤلفات.

---

(1) ينظر: الإسلام والشعر، الدكتور يحيى الجبوري، ص 24-25.

(2) م. ن 24-25.

(3) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان،تحقيق الدكتور إحسان عباس 1/ 188.

(4) العقد الفريد 1.7/3.

(5) وفيات الأعيان، ابن خلّكان 121/1.

(6) ينظر: الإسلام والشعر، ص 26.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الثاني

تدوين الشعر العربي وتوثيقه

رأينا مما تقدم أن الشعر الجاهلي قد حمل إلينا عن طريق الرواية الشفوية من عصرٍ إلى عصر ومن جيلٍ إلى جيل، ولكن لا يعني أن الرواية قد انفردت بهذا النقل بل رافقت الكتابةُ الروايةَ في نقل أدب ما قبل الإسلام وأمر الكتابة معروفٌ لا يحتاج إلى جدال ولا نقاش ولا مراء. فالأشعار تعلق في خزائن الملوك وعلى جدار الكعبة.فعرب الجاهلية عرفوا الكتابة بنفس الخط الذي عرفه الصحابة في صدر الإسلام وترجع هذه المعرفة في الجاهلية إلى مدى ثلاثة قرون، وقد أيد هذه الحقيقة ما أظهرته النقوش الجاهلية، يقول ابن فارس " فأما ما حكي عنه من الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجر والكاف والدال،فإننا نزعم أن العرب كلها: مدراً ووبراً، قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها، وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم، فما كل يعرف الكتابة والخط والقراءة" (1).

وقد وصف الشعراء الكتابة في عدد من القصائد (2) غير أن الأثر الشعري في قضية عصر ما قبل الإسلام لدى الشعراء.. مصدره في الأصل الارتجال (3). ولكن هذا عند بعض الشعراء الذين لا يعرفون الكتابة أو أن الشاعرأول ما يبدا به الارتجال في إنشادهِ ثم يعيد النظر في قصيدته فينقح ويشذّب وهذا لن يتأتى له إلا بالكتابة.

ويرى غولد زيهر: أن شعر ما قبل الإسلام كان مكتوباً في أغلبه فالتقييد والتدوين كانا معروفين لدى أهل عصر ما قبل الإسلام، وإذا كان الشعر عندهم يعد في الذروة العليا من القيمة والخطر، إذ هو ديوان أمجادهم وأحسابهم وسجل مفاخرهم ومآثرهم، فهذا وحده يكفي أن يجعلهم يتسابقون إلى تدوينه طالما أنهم قد دوّنوا ما دوّنوا من دونه، فضلاً عن شغف القبيلة بشعر شاعرها، إذ هي تحيط به

---

(1) مصادر الشعر الجاهلي، ص 47.

(2) ينظر: الأغاني0130/6

(3) تاريخ الأدب العربي الجاهلي، بلاشير، ص95.

obeikandl.com

من كل الجوانب وتحفظه لكي تباهي به القبائل الأخرى، كما أن بعض القبائل قامت بجمع آثار أدبائهم ودوّنته وركزت على تدوين الشعر، بدليل ذكر كتب يحمل كل منها اسم قبيلة معينة يضم أخبارها وآثارها مثل كتاب الأنصار وكتاب ثقيف وكتاب تميم الذي ورد ذكره في المفضليات ويقول الشاعر بشر بن أبي خازم الأسدي:

وجدنا في كتاب بني تميمٍ أحقُّ الخيلِ بالركض المعارُ[1]

وأمر آخر مهم يجب أن نذكره وهو أن بعض الشعراء ورواة الأشعار قد جعلوا الشعر مورداً من موارد الارتزاق وغير معقول الاّ يقيّدوا هذا الشعر مصدر الخير ومورد الرزق فالتقييد في كتابته وحفظه في لوح الحافظة في أن معاً، ومما يدل على تقييده أيضاً أن بعض الشعراء عمدوا على نظم الشعر الحولي المحكك ولم يرتجلوه ارتجالاً وهذا أمرٌ يتطلب التقييد والكتابة.

فمن الخطأ أن نظن الشعر الجاهلي كان كله مرتجلاً، بل كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه، والملاطفة له، والتلوم على رياضته وإحكام صنعته، نحو ما يعرض لكثير من المولدين[2].. ولهذا كان بعض الشعراء كما ذكرنا يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كاملاً يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله، وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات، ولا معنى لإجالة النظر إلا في الشيء المكتوب فالرواية تمثل لوناً مهماً من ألوان الثقافة التي لا يستغني شاعر عن التزود فيها في بدء حياته وفي مراحل تطوره كلها، وإذا ما تأملنا قصائد شعراء ما قبل الإسلام فإن فيها ما يؤكد ظهور الكتابة.وقد شبه بعض الشعراء الأطلال بالصحف المكتوبة، فهذا الشاعرالأخنس بن شهاب التغلبي يشبه الآثار بكتابة العنوان لأن كتابته واضحة مجوَّدة، فقال:

لابنة حطَّان بن عوف منازلُ كما رقَّش العنوانَ في الرِّقِّ كاتبُ[3]

---

(1) المفضليات، ص344 والبيت في ديوان الشاعر، ص78. وينظر شعراء مذحج، ص5.

(2) الخصائص، ابن جني 1 / 230.

(3) فتوح البلدان للبلاذري، ص 477.

كذلك الحال عند طرفة بن العبد فقد صور آثار رسوم الديار بأنها سطور الكتابة الجميلة المنمقة التي زينها الكاتب بأكثر دقة في وضح النهار لأن ذلك أجود فقال:

أشـــجاك الرَّبـــعُ أم قِدَمُـــهْ أمْ رمـــــادٌ دارس حُمّمُـــــهْ

كســـطور الِّــرقِّ رقَّشــه بالضـــحى مُــرقِّش يَشِـــمهْ[1]

وقد ولع الشاعر الجاهلي أن يشبه الأطلال ورسوم الديار بالكتابة ونقوشها فهذا المرقش الأكبر يكرر المعنى نفسه ويضيف ذكر القلم، فيقول:

الـــدارُ قفـــرٌ والرســـومُ كمـــا رَقَّـــشَ في ظهـــر الأديـــم قلـــم

ويروى أنه كان يحسن الكتابة، وأنه كتب على بعض الرحال قصيدة له حين وقع أسيراً في يد بعض العرب غير أن قصته الطويلة والحزينة ومالاقى فيها من آلام وما كتبه قبل هلاكه لأخيه "حرملة"كفيلٌ لظهور الكتابة في العصر الجاهلي، وللأإيضاح نوجز شيئاً من هذه القصة والتي تروي أن المرقِّش خرج إلى كهف خبَّان بأسفل نجران، ومعه مولاة له وزوجاً لها من قبيلة (غفيلة)، وكان عسيفاً (أي أجيراً)، فسمع مرقشُ الغُفَلِيَّ يقول لامرأته: هذا في الموت، ولا يمكنني المقام عليه فجزعت من ذلك وصاحت وهي تنظر إلى مرقش، فقال الغفلي اتركيه لقد هلك سقماً، وهلكنا معه ضراً وجوعاً.فجعلت الوليدة تبكي من ذلك فقال زوجها: أطيعيني، وإلاّ فإني تاركك وذاهب، قال: وكان مرقش يكتب، وكان أبوه سعد بن مالك قد دفعه وأخاه حرملة وكانا أحب ولده إليه إلى نصراني من أهل الحيرة فعلمهما الخط، فلما سمع مرقش قوله كتب على مؤخرة الرحل هذه الأبيات:

يـــا صـــاحبيَّ تلبّثـــا لا تعجـــلا أن الـــرواح رَهِـــينٌ أن لاّ تفعـــلا

فلعـــل لُبثكمـــا يفرِّطُ ســـيئاً أويســـبق الإســـراع ســـيباً مقـــبلاً

يا راكباً إمَّا عرضتَ فبلّغَنْ أنَسَ بن سعْدٍ إن لقيتَ وحرملا

للّهِ دَرُّكُمـــــا ودَرُّ أبيكمـــــا، أن أفلـــت العبـــدان حتـــى يقـــتلا

---

(1) ديوان طرفة بن العبد، ص 123 ـ 124، وأشجاك :أحزنك. والربع: المنزل، قدمه: أي قدم عهده. والرِّق: الصحيفة من الجلد. رقَّشه: زيَّنه وكتبه ويشمه: يزخرفه.

مَــن مُبْلِــغُ الأقــوامَ أنَّ مرقّشــاً أضحى على الأصحاب عبئاً مثقلا

وكأنمــا تــردُ الســباعُ بشِــلْوِه إذ غــابَ جمــعُ بــني ضُــبيعةَ مَــنهلا

فلما قدم الغفلي وامرأته سألوه عن المرقش فقال: مات المرقش، ونظر حرملة إلى الرحل وجعل يقلّبه فقرأ الأبيات ففهمها فشدد على الغفلي وامرأته، فأقرَّا أنهما تركاه على حالٍ ضيعةٍ لما نالهما من الجوع والجهد فوثب حرملة على الغفلي وقتله(1).

ومن الشعراء الذي شبه رسوم الدار في الأرض بنقوش الكتابة في مصحف الراهب امرؤ القيس، فقد قال:

---

(1) ينظر: المفضليَّات 1 /559- 561،و ينظر: الأغاني 138/6 . 139 وفيه أن حرملة قتل الغفلي وامراته وتكمن مأساة مرقش في أنه خطب إلى عمه عوف بن مالك ابنته اسماء، وكان قد ربَّى معها صغيراً. فقال له عمه لن أُزوجكها حتى ترأس [أي تكون رئيساً] وتأتي الملوك، فخرج مرقش، فأ تى ملكاً من ملوك اليمن مُتَّدِحاً له،فأنزله وأكرمه وحباه، ثم أن عوفاً عم مرقش، أصابته سنة فأجدب، فخطب إليه رجل من مراد فزوجه ابنته، على مائة من الإبل. ثم تنحَّى بأسماء عن بني سعد بن مالك وترفع بها إلى بلاده.. وبعد أن أقبل المرقِّش، أشفق عليه إخوته وبنو عمه من أنْ يعلموه بتزويج ابنة عمه، فلما سأل عنها قالوا: ماتت، وذهبوا به إلى قبر أحذوا قبل ذلك كبشاً،فأكلوا لحمه وجعلوا عظامه في ثوبٍ وقبروه. فكان مرقش يعتاد ذلك القبر. فبينما هو نائم عنده ذات يوم، إذ اختصمَ صبيان،من بني أخيه في كعبٍ معهما.فقال أحدهما: هذا كعب الكبش الذي ذبح ودفن، وكان قد قيل لمرقش إنه قبر أسماء، فقعد مرقش مذعوراً،وتأتى للصبيان حتى أعلموه الخبر، وكان قد ضني ضنىً شديداً فجاء واستوضح الخبر ثم شدَّ على بعيره وحمل معه مولاةً له وزوجها واستمر في رحلته الشاقة باحثاً عن أسماء حتى أهلكهم السقم والجوع، وهلك المرقش في كهف خُبَّان بأسفل نجران، فتركه صاحباه ورجعا إلى أهلهما في حين بقي المرقش في هذا الكهف، وقد كان راع من مراد يعتاد ذلك الكهف فسأله المرقش عن أسماء وقال له الراعي: أن خادمها يأتي كل ليلة بقَعْبٍ فأحلب لها فيه عنزاً، فدفع المرقش خاتمه إلى الراعي وقال:" إذا حلبت فارم بالخاتم في القعب، فإنك مصيبٌ ما أصاب راعٍ من خير. ففعل ذلك الراعي. فلما أخذت القعب لتشربه ضرب الخاتم ثناياها.. فأخبرت زوجها بالقصة فسأل الراعي عن ذلك فقال دفعه إلي فتى في كهف خُبَّان وهو دنفٌ في آخر رمق. فقالت: " هذا مرقش العَجَلَ العجل. فركب فرسه وحملها على بعير فانتهى إليه بعد يوم وليلة فاحتمله إلى منزلها. ثم أن حرملة لما قتل الغفلي ركب في طلب مرقش، حتى أتى موضع أسماء، فخُبِّر أنَّه مات عندها، فأنصرف ولم يرها.ولعل أجمل ما قاله مرقش في ذلك الكهف قوله:

سـرى لـيلاً خيـالٌ مـن سـليمى فـأرقني وأصـحابي هجـودُ

فبـتُّ أُديـرُ أمـري كُـلَّ حـالٍ وأرقـبُ أهلهـا وَهُـمُ بعيـدُ

سـكنّا ببلـدة وسـكنتُ أخـرى وقطعـتِ المواثـق والعهـودُ

ينظر المفضليَّات 561/1 - 563.

obeikandl.com

لمــن طَلَــلٌ أبصــرتهُ فشــجاني — **كخــط زبــورٍ في عســيبٍ يمــاني**

ويقول مكرراً المعنى نفسه:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ وعرفان — **ورســمٍ عفــت آياتــه منــذُ أزمــانِ**

أتت حجـجٌ بعـدي عليهـا فأصبحتْ — **كخـطّ زبـورٍ في مصـاحفِ رهبـانِ**[□]

ويقول لبيد في هذا المعنى:

وجلا السـيولُ عـن الطلـولِ كأنَّـه — **زُبُـــرٌ تجـــدُّ متونهـــا أقلامهـــا**

وتكررت الصورة في قصيدةٍ أخرى للبيد:

درس المنـــا بمُتـــالعٍ فأبـــانِ — **وتقادمـــت بـــالحبس فالسّـــوبانِ**

فنعــاف صــارةَ فالقنــانِ كأنهــا — **زُبــرٌ يرجَعهــا وليــدُ يمــان**[بر]

وقد تناول حاتم الطائي هذه الصورة، فقال:

أتعــرف أطــلالاً ونؤيــاً مُهــدّماً — **كخطــك في رَقٍّ كتابــاً مُنمنَمــا**

ويبدو أن أبا ذؤيب الهذلي قد تأثر بقول حاتم وأفاد منه في قوله:

عرفــت الــديار كرســم الكتــا — **ب يزَّبــرهُ الكاتــب الحمــيري"**[تر]

---

(1) ديون امرىء القيس، ص 85. والزبور: جمعها زبر تعددت معانيها فقد يراد بها الجانب الديني وقد تطلق على غيره من الكتب فمن الضرب الأول قول أمية بن أبي الصلت :

وأبرزوا بصعيدٍ مُستوٍ جرز — فأنزل العرش والميزان والزّبرُ

والجرز:الأرض التي لا نبت فيها وينظر: البيت في ديوانه، ص 52، ومثله قول امرىء القيس

أتت حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحت كخط زبورٍ في مصاحف رهبان،

ينظر: ديوانه، ص 86.

ومن الضرب الثاني قول لبيد:

فنعاف صارة فالقنان كأنها — زُبُرٌ يُرجِّعها وليدُ يمانِ

(2) ديوان لبيد، ص 299، 132.

(3) ديوان حاتم الطائي، ص 7،وديوان أبو ذؤيب الهذلي،ص210،و ديوان الهذليين، ص 64،وشرح أشعار الهذليين، ص 98، ويزبره: يكتبه. أمَّا في القرآن الكريم فقد وردت الزبور في تسعة مواضع كلها بمعنى الكتاب الديني والآيات التي وردت فيها:الأنبياء/105، الإسراء/55 والنساء 162، الشعراء196 والقمر،52،43، النحل /44،آل =عمران/184،فاطر/25، وجاءت في موطنين منها خاصة بكتاب داود..الشعراء والنساء.وقد وردت الصحيفة والقرطاس والقلم في أبيات أخرى من الشعر الجاهلي. ينظر: شرح المعلقات للتبريزي، ص 154.

obeikandi.com

وقال زهير بن أبي سلمى:

يُـؤخَّرْ فيوضـعْ في كتـابٍ فَيُـدَّخرُ   ليـوم الحسـاب أو يُعَجِّـلْ فيـنقمِ [□]

وقال عبيد بن الأبرص:

لمـــن الـــدار أقفـــرت بالجنـــاب   غـــير نـــؤى ودمنـــة كالكتـــابِ [بر]

ويقول تميم بن أبي مقبل:

منهن معـروف آيـات الكتـاب وقـد   تعتـاد تكـذب ليلـى مـا تمنينـا [تر]

ويقول سلامة بن جندل:

لمـن طلـل مثـل الكتـاب المنمـق   خلاعهده بين الصليبِ فمطْرَقِ [ير]

ويروي ابن الشجري في حماسته ما يؤكد شيوع كتابة الشعر في الرسائل تلك الأبيات التي أرسلهاالحارث بن كلدة إلى أبناء عم له يعاتبهم بعد أن كتب إليهم ولم يجيبوه فعاد الكرَّة وكتب يقول:

ألا أبلـــغ معـــاتبتي وقـــولي   بـــني عمّـــي فقـــد حســـن العتـــاب

وسـل هـل كـان لـي ذنـبٌ إلـيهم   وهـــم مـــنهم فـــأعتبهم غضـــاب

كتبـــت إلـــيهم كتبـــاً مـــراراً   فلـــمْ يرجـــعْ إلـــيَّ لهـــا جـــواب [سم]

وقد قال الدكتور ناصر الدين الأسد: " وهل أبلغ في الدلالة على شيوع كتابة الشعر من هذه الأبيات التي أرسلها الحارث بن كلدة.." [شم]

وكـان عمـرو بـن كلثـوم قـد لجـأ إلى مـن يكتـب لـه بعـد أن بلغـه أن النعمـان يتوعده، فدعا كاتباً من العرب من دون مشقة لأن الكتابة منتشرة وأملى عليه:

ألا أبلـــغ النعمـــانَ عـــني رســـالةً   فمـــدحك حولـــيٌّ وذمّـــك قـــارحُ

---

(1) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص18.

(2) ديوان عبيد بن الأبرص.

(3) ديوان تميم بن أبي مقبل، تحقيق الدكتور عزة حسن، ص 131.

(4) ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة، ص 159.

(6) حماسة ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله علي بن حمزة العلوي، ص 68

(6) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص18.

obeikandi.com

متى تلقني في تغلب ابنة وائل وأشياعها ترقى إليك المسالحُ[1]

وخبر الكتابة يتجلى في الربيع بن زياد العبسي وإ خوته، فقد كانوا يوصفون بالكملة، ومن صفات الكامل في الجاهلية أن يحسن الكتابة، وقصته مع النعمان بن المنذر تؤكد تقنية الربيع في الشعر والكتابة معاً، ويبدو أنه كان واحداً ممن يكتبون الدواوين التي علقت في خزانة النعمان، فقد كان صديقه يحاوره و ينادمه، ويقال إنه كان فحاشاً بذيَّاً لا يسلم من لسانه أحد ممن يفد على النعمان فرمِيَ بلبيد وهو غلام مراهق فنافسه يوماً وقد وضع الطعام بين يدي النعمان، وتقدم الربيع وحده ليأكل معه على عادته، وكان قد أفسد على قبيلة لبيد(بنو عامر)النعمان لما يذكره من معايبهم فقام لبيد وقال مرتجلاً:

رب هيجاء هي خير من دعه نحن بني أمَّ البنين الأربعه

ونحن خير عامر بن صعصعه المطعمون الجفنة المدعدعه

والضاربون الهام تحت الخيضعه مهلاً أبيت العن لا تأكل معه

فقال النعمان: ولمه؟ فقال لبيد: إن استه من بَرَصٍ مُلَمَّعَه

فقال النعمان وماعلينا من ذلك؟ فقال:وإنه يولج فيهاأصبعه

يولجها حتى يواري أشجعه كأنما يطلب شيئاً أودعه

ويروي "أطمعه" فرفع النعمان يده عن الطعام، وألتفت إلى الربيع شزراً، وقال: ما تقول ياربيع؟.

فقال: أبيت اللعن كذب والله ابن الحمق اللئيم، كذب الغلام، فقال لبيد: مره فليجب، فقال النعمان: أجبه ياربيع، فقال: والله لما تسومني أنت من الخسف أشدُّ عليَّ مما عضهني به الغلام، فحجبه بعد ذلك،وسقطت منزلته و أمر النعمان بعد هجاء لبيد له في مجلسه، بإخراجه وانصرافه إلى أهله ؛ فكتب إليه الربيع معتذراً: إني قد تخوفت أن يكون قد وقر في صدرك ما قال لبيد، ولستُ برائم حتى تبعث من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال فأرسل إليه: إنك

(1) ينظر: الأغاني 17/ 121،و58/11، والبيتان في الديوان، ص47.

لست صانعاً بإنتفائك مما قال لبيد شيئاً ولا قادراً على ما زلّت به الألسن، فالحق بأهلك، فقال الربيع:

لئن رحلت جمالي إنّ لي سعةً ... ما مثلها سعةٌ عرضاً ولا طولا

بحيث لو وزنت لحمٌ بأجمعها ... لم يعدلوا ريشةً من ريش سمويلا

فكتب إليه النعمان:

شرِّدْ برحلك عني حيثُ شئتَ ولا ... تُكثر عليَّ، ودع عنك الأباطيلا

فقد ذكرت به،والركب حامله ... ورداًيعلل أهل الشام والنيلا

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً ... فما اعتذارك من شيءٍ إذا قيلا

فالحقْ بحيثُ رأيتَ الأرض واسعة ... وانشر بها الطرف إن عرضاً وإن طولا[1]

ودليل آخر على إنتشار الكتابة في العصر الجاهلي ماجرى من مكاتبات بين النعمان وأكتم بن صيفي وهو واحد من علماء الجاهلية وحكمائها فقد كتب إليه النعمان "إن عهداً إلينا أمراً نعجب به فارس ونرغبهم به في العرب. فكتب أكتم: لن يهلك امرؤ حتى يضيع الرأي عند فعله، ويستبد على قومه بأموره "[2] ولم تقتصر مكاتبات أكتم على النعمان بن المنذر فقد كتب إليه ملك هجر أو نجران أن يكتب إليه بأشياء ينتفع بها وأن يوجز، فكتب إليه: إن أحمق الحمق الفجور وأمثل الأشياء للأشياء ترك الفضول "[3]. وكذلك كتب إليه الحارث بن شمر الغساني ملك عرب الشام " فاعهد إلينا أمراً نعرف به أنَّ في العرب...حكمةً وعقولاً وألسنةً. فكتب إليه أكتم: إن المروءة أن تكونَ عالماً كجاهل، وناطقاً كعيٍّ"[4].

(1) ينظر: الأغاني 187/17 . 190، وأمالي المرتضى 190/1ـ 192،والعمدة 1/ 51ـ 52. وشرح شواهد المغني،ص 68، ومصادر الشعر الجاهلي، ص 115.

(2) كتاب المعمّرين، 19، نقلاً عن مصادر الشعر الجاهلي، ص 166.

(3) م. ن، ص 18.

(4) م. ن، ص 18.

obeikandi.com

وقال زهير بن أبي سلمى بعد أن أصطلح العبسيون والذبيانيون في سوق عكاظ بعد حرب داحس والغبراء التي جرت بين القبيلتين:

ألا أبْلِـغ الأحــلافَ عَـّني رِسـالةً … وَذُبيـأن هـل أقسـمتَمُ كـلَّ مُقَسـمِ

فـلا تَكْـتُمُنَّ اللّهَ مـا في نُفُوسـكم … ِليخفـى ومهمـا يكـتمِ اللّهُ يَعلَـمِ[1]

وتعد داليّة لقيط بن يعمر الإيادي من القصائد الجاهلية المشهور كتابتها وقد كتبها إلى قومه ينذرهم فيها بغزو كسرى لهم، وكتب قبل القصيدة مقدمة شعرية جعلها عنوان القصيدة كما يقول صاحب الأغاني وقد دفعته العصبية والحمية إلى كتابة هذه المقطوعة إنذاراً موجزاً شديد اللهجة لكي يتوخى قومه الحيطة والحذر وأن يستعدوا لملاقاة الفرس فيقول:

كتـابٌ في الصـحيفةِ مـن لقـيطٍ … إلى مــن بــالجزيرة مــن أيــادِ

بـأن الليـث كسـرى قـد أتـاكم … فــلا يشــغلكمُ ســوق النقــادِ

أتــاكم مــنهم ســتّون ألفــاً … يزجّــون الكتائــب كــالجرادِ

علــى حنــقٍ أتينــاكم فهــذا … أو أن هلاككم،كهـلاك عــادِ[2]

ويبدو أن هذه المقطوعة لم تشف غلة لقيط بن يعمر فشفعها بعينيته المشهورة والطويلة والتي تتألف من خمسة وخمسين بيتاً، وقد أراد منها أن تكون انذاراً وإرشاداً وتوجيهاً سديداً، وتخطيطاً محكماً يدل على خبرة لقيط وحنكته وتجربته التي تدل أيضاً على بصيرته بأمور القتال والحرب، وأودعها كل تلك التجارب وغيرها ملحّاً على أن تفيد أياد منها، ومطلعها:

يـادار عمـرة مـن محتلـها الجرعـا … هاجـت لـي الهـمّ والأحـزان والوجعـا

ويقول فيها:

أبلــغ إيــاداً وخلــل في ســراتهم … إنـي أرى الـرأي إن لم أعص قد نصعا

---

(1) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 26، والأحلاف:أسد زغطفان اللتان تحالفتا مع ذبيان على حرب عبس. وهَلْ:ليست للإستفهام وإنما هي للإثبات والتأكيد ومعناها قد.أقسمتم:حلفتم بالله لتحقيق الصلح وحقن الدماء وخلق المحبة والوئام..

(2) ينظر: الأغاني 123/6، 124، والأبيات في ديوان لقيط بن يعمر الأيادي، ص 123، 124.

obeikandi.com

ويمضي في وصف الجيوش المغيرة على الأرض العربية واصفاً عدتها وعددها محفزاً القبائل العربية على ردها مذكراً أيامهم بالمجد العربي العريق ثم ينتهي بأبيات يرسم فيها صورة القائد العربي متطرقاً إلى سمات البطولة فيه، وما سيكون فيه من أخلاق الثائر في سبيل وحدة الأمة ونصرها. وختمها بقوله:

هذا كتابي إليكم والنذير لكم　　　لمن رأى رأيكم منكم ومن سمعا[□]

فذهب لقيط بن يعمر في قافلة شهداء الأمة العربية وإن كانت كلفت هذه القصيدة الشاعر حياته، فقد كان يعمل كاتباً لدى الملك ومترجماً في ديوانه، وقد علم كسرى بأن لقيطاً قد حذّرَ قومَه العرب وأعدمه.

يروى أن عدي بن زيد العبادي كان من أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية، وكان مترجماً في ديوان كسرى " ولما تحرك عدي وأيفع طرحه أبوه في الكتاب حتى إذا حذق العربية أرسله المرزبان مع ابنه شاهان مرد إلى كتاب الفارسية، فكان يختلف مع ابنه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بالعربية وقال الشعر ".[بر] وهناك من شبه الديار الدارسة بالوشم ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

ودارٌ لها بالرَّقمتينِ كأنها　　　مراجيعُ وشُمٍ في نَواشرِ مِعصمِ[تر]

وتناول طرفة بن العبد نفس المعنى في قوله:

لخولة أطلالٌ ببرقة ثهمد　　　تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد[ير]

وهناك من الشعراء من عمد إلى ذكر الورق، فهذا الشاعر الحارث بن حلزة يشبه آثار الديار بمهارق الفرس في قوله:

لمن الديار عفون بالجبسِ　　　آياتها كمهارق الفُرْسِ[□]

---

(1) ديوان لقيط بن يعمر الأيادي 99. 122. وينظر :مصادر الشعر الجاهلي، ص 157.

(2) نهاية الأرب 2 /242.

(3) شرح ديوان ديوان زهير، ص 26. الرقمتان: روضتان إحداهما واقعة قرب البصرة والأخرى قريبة من المدينة. والوشم: وخز بالإبر كانت تلجا إليه النساء طلباً للزينة.

(4) ديوان طرفة بن العبد، ص 38.

obeikandl.com

في حين جاء ذكر القرطاس في قول طرفة بن العبد الذي شبّه خدّ ناقته الشديد البياض بالقرطاس، فقال:

لمن الديار عفون بالجبسِ كسبْتِ اليمانيّ، قدُّه لم يجرِّدِ

كما نجد أبياتاً أخرى وردت فيها الإشارة إلى أدوات الكتابة من الأوراق والصحف والأقلام (1).

فقد قال عدي بن زيد العبَّادي:

ما تبيَّن العينُ من آياتها غيرَ نُؤْيٍ مثل خط بالقلمْ

له عُنُقٌ مثلُ جِذعِ السَّحُو ق والأذُنُ مُصنَّعةٌ كالقلم

في حين جات بصيغة الجمع في قول الزبرقان بن بدر:

هم يهلكون ويبقى بعد ما صنعوا كأن آثارهم خطَّت بأقلامِ

ومن أدوات الكتابة التي وردت في الشعر الجاهلي (الدواة والمداد) وقد ورد ذكرهما في قول عبد الله بن عنمة:

فلم يبقَ إلاّ دِمنةٌ ومنازلٌ كما رُدَّ في خطِّ الدواة مِدادُها

وعن الحنفاء وإتقانهم للكتابة والقراءة يقول الألوسي: " إن الحنفاء كانوا يطوفون بحثاً عن دين إبراهيم، وكانوا يقرأون الكتب السماوية، ويتأملون في الكون تقرَّباً إلى الله.. متعبدين لإله واحد، هوإله إبراهيم وإسماعيل "(2)، وقد حرص القدماء أن يجعلوا هؤلاء (المتحنفين من القارئين الكاتبين، وينسبون إلى بعضهم قراءة (الصحف)، و "مجلة لقمان)، فضلاً عن الكتب السماوية مثل الزبور والتورات(3)فأمر الكتابة في الجاهلية مفروغ منه فقد انتشرت الكتابة في أمصار كثيرة، وقد ساعدت ظروف عديدة على تعلمها، ولا نريد أن نتوغل في تحليل النص حتى لا نبتعد عما نحن فيه، وهو موضوع التدوين، وهناك دليل آخر سبق إن

---

(1) ديوان الحارث بن حلزة، ص. والمهارق: الصحيفة التي يكتب فيها أو ثوب حرير أبيض يسقى بالصمغ ثم يصقل.

(2) الأغاني 3 /128، والبيت في ديوان طرفة بن العبد، ص 44.

(3) م. ن.

(4) ينظر: الفائق، الزمخشري 1/ 206،3/218، ومصادر من الشعر الجاهل، ص 63، 140، 169.

obeikandl.com

ذكرناه في مبحث المعلقات كفيل أن نمثل به وهو التعاهد والتواثق الذي تم بين قريش حينما أجمعت على بني هاشم وبني عبد المطلب على ألاّ "ينكحوا إليهم ولاينكحوهم ولايبيعوهم شيئاً ولايبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم"(1) ولاريب في أن تمكث هذه الصحيفة معلقة في الكعبة دهراً، فلما أخرجوها بعد ذلك وجدوا أن الأرضة لم تدع في الصحيفة إلاّ اسم الله.(2)، وفي هذا السياق قال الجاحظ عن العرب: " كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيماً للأمر، وتبعيداً من النسيان "(3) ومما يدلُّ على كتابة هذه العهود ورودها في الشعر الجاهلي، فقد قال الحارث بن حلزة اليشكري:

واذكـــر حلـــف ذي المجـــازو قـــدم فيـــه العهـــود والكفـــلاءُ

مـا حـدر الجـور والتَّعـدِّ، وهـو ينـ ـقـض مـا في المهـارق والأهـواءُ(4)

ومثل ذلك قول الأعشى:

ربِّـــي كـــريمٌ لا يُكَـــدِّرُ نِعمَـــةً وإذا يناشِـــدُ بالمهـــارق أنشـــد(5)

ولا يعني أن التدوين لم يكن له إلاَّ القدر القليل الذي تسمح به حياة العرب قبل إسلامها من حيث ارتحالهم وعدم اصطناع وسائل الكتابة وأدواتها على نطاق واسع.

ومما لاشك فيه أن كتابة الشعر الجاهلي كانت ميسَّرة وإن كثيراً من الشعر الجاهلي قد دوّن وحفظته لنا الكتابة والرواية في أن معاً.وقد جاء في طبقات ابن سعد أن الكتابة كانت ميسورة متوفرة ليست غالية الثمن في الصدرالأول للعصرالإسلامي (6).. وقد زعم أبو حنيفة الدينوري أن عمر بن إبراهيم من ولد

---

(1) السيرة النبوية 3/2.

(2) تاريخ الأدب العربي، ص 64.

(3) الحيوان 1/ 69.

(4) ديوان الحارث بن حلزة، ص 13. والكفلاء الرهان.

(5) ديوان الأعشى، ص 279 ويقصد بلفظة: رب :سيد أي أنه يقول سيدي كريم لا يشوب نعمته كدر ولا نكد، إذا نوشد ما في الكتب أجاب. والمهارق: الصحف.

(6) طبقات ابن سعد 116/6.

openkanar.com

أبرهة بن الصباح ملك حمير أرسل إلى الكرماني نسخة حلف اليمن وربيعة الذي كان بينهم في الجاهلية. ثم أورد نصف هذا الحلف(1) ولعل ما نستأنس به من أدلة على شيوع الكتابة هو القرآن الكريم، ففي آية الدين من سورة البقرة يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمّى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأبَ كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتقِ الله ربه ولا يبخس منه شيئاً...إلى أن تقول الآية الكريمة " إلاّ أن تكون تجارة حاضرةً تديرونها بينكم فليس عليكم جُناحٌ ألا تكتبوها وأشهِدوا إذا تبايعتم ولا يُضار كاتبٌ ولا شهيدٌ وإن تفعلوا فإنه فسوقٌ بكم واتقوا الله ويُعلّمُكُمُ الله والله بكل شيءٍ عليمٍ ﴾(2) ووجه الاستدلال هنا أن الآية توجب الأمر بالكتابة في هذه المعاملات المسنّة "ولو كان شيوع الكتابة أمراً نادراً لكان التكليف فوق الطاقة، والمعهود في التكاليف الشرعية أنها في حدود الطاقة، وهذا يعني أن الأمر نزل في الآية الكريمة مع شيوع الكتابة أو تيسرها، ولا يعقل أن يتم هذا الشيوع في العصر الإسلامي دون سند يمد هذه الصناعة في العصر الجاهلي فلا بد أن الكتبة كانوا عدة هذا الانتشار ووسيلته "(3). وهناك آيات أخرى أكدت شيوع الكتابة منها قوله تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴾(4) وهكذا أشهر أعداء الإسلام أسلحتهم بوجه الرسول الكريم ﷺ ودعوته المباركة، وراحوا يتخبطون في وصفه فتارة (أضغاث أحلام) وتارة (افتراءات) وتارة (أساطير الأوّلين) ويتخبطون في وصف الرسول الكريم ﷺ فهو (شاعر) والقرآن (شعر)، ومنهم من أتهمه ب (شاعر مجنون) –حاشا للقرآن وللرسول مما نسب إليهما من افتراء وقول متخبط مجنون، وقد ذكر القرآن

(1) الأخبار الطوال، ص 336 نقلاً عن مصادر من الشعر الجاهلي 66.

(5) سورة البقرة/282.

(1) من قضايا الأدب الجاهلي، ص 88.

(4) سورة الفرقان/5.

obeikandl.com

الكريم تخبطهم هذا حينما قال: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثالَ فضلُّوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾[1] ونزّه آياته ورسوله مما وصفا به في قوله تعالى: ﴿وما علّمناه الشعر وما ينبغي له❖ إنْ هو إلاّ ذكر وقرآن مبين﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام❖ بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآيةٍ كما أرسل الأوّلون﴾[3] وقوله تعالى: ﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون ويقولون إننا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون﴾[4]. وقوله: ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين﴾[5]. وقوله: ﴿إنّه لقول رسولٍ كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهنٍ قليلاً ما تذكرون﴾[6].

ورب سائلٍ يسأل عن معنى"الأ مية " ودلالاتها، وكيف تجاوزها العرب بعد أن أكدها القرآن في ثلاث آيات هي: ﴿ فإن حاجُّوك فقلْ أسلمتُ وجهي للّه ومن اتبعنِ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولَّوا فإنما عليك البلاغُ واللّهُ بصيرٌ بالعباد﴾[7] وقال جل في علاه: ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنْهُ بِقِنْطار يؤَدِهِ إليكَ ومنهم من إن تأمنهُ بدِينارٍ لا يؤَدِهِ إليك إلا مادمتَ عليهِ قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميينَ سبيلٌ ويقولون على اللّهِ الكَذِبَ وهم يَعلمون﴾[8]، وقال: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلُوا عليهِم آياتِهِ ويزكِّيهِم وَيُعلّمُهُمُ الكتابَ والحكْمَةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مُبِين ﴾[9] وقد جاء الوصف بالجاهلية في القرآن بمعنى الأمية ولا ينصرف معنى الأمية في هذه

---

(1) سورة الإسراء /48.

(2) ينظر: الكشاف 333/3 والآيتان في سورة يس 69 - 70.

(3) سورة الأنبياء/5.

(4) سورة الصافات/36.

(5) سورة الطور/29 - 31.

(6) سورة الحاقة/40 – 42.

(7) سورة آل عمران / 20.

(8) سورة آل عمران /75.

(9) سورة الجمعة /2.

الآيات إلى الجهل بالقراءة والكتابة، وإنما ذهب إلى أبعد من هذا وأنصرف إلى الأمية الدينية بمعنى الجهل بالديانات السماوية الأخرى التي كانت شائعة قبل الإسلام، ولعل مايؤكد هذا ما جاء في قوله تعالى:﴿ ومنهم أميونَ لا يعلمون الكتاب إلاَّ أمَانيّ وإن هم إلا يظنون، فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيدهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون﴾[1]. والكلام هنا على فريق من أهل الكتاب والأمية التي تصفهم الآية ليست أمية الجهل بالكتابة، لأن الآية تخبر أنهم كانو يكتبون الكلام بأيدهم،فالأمية إذن هي أمية دينية يصف بها القرآن الجاهليين الوثنييتن الذين أنكروا الحق وأجحدوا به. وعلى هذا قال الطبري" الأميون قومٌ لم يصدقوا رسولاً أرسله الله ولا كتاباً أرسله الله، فكتبوا كتاباً بأيديهم ثم قالوا لقومٍ سفلة جهلة: هذا من عند الله، وقال قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم وسمَّاهم أمَّيين لجحودهم كتاب الله ورسله" والجاحظ يرى أن كل شيْ للعرب إنما هو بديهة وارتجال، لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحداًمن ولده " فقد كانوا أميين لا يكتبون ".

ولكن هذا لاينطبق على الأمي الذي لا يقرأ ولايكتب فالرسول الكريمﷺ لم يتعلم الكتابة ولا القراءة، وهذا أمرٌشائع متواتر عنه في حياته وشاء الله تعالى أن تكون تربيته ونشأته الأولى في بني سعد في حجر حليمة السعدية وبنو سعد يشتهرون بفصاحتهم وعدم شيوع الكتابة فيهم، وكان النبي ﷺ يدهش أصحابه ببيانه الرفيع لأنه أوتي جوامع الكلم إلى المدى الذي يقول فيه علي بن أبي طالب ﷺ: يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لانفهم فيجيب: أدبني ربي وأحسنَ تأديبي وربيت في بني سعد"[2] ومن الشواهد التي تدل على معرفة العرب بالكتابة ما جاء في حديث سويد بن الصامت أنه قال لرسول الله ص " فلعل الذي معك مثل الذي معي ! فقال: وما الذي معك ؟ قال سويد: مجلة لقمان ـ

(1) سورة البقرة / 78، 79.

(2) المؤتلف والمختلف 106.وينظر: أصول الأدب 4.و إعجاز القرآن، "الرافعي" ص 333حيث يروي الخبر عن أبي بكرﷺ.

يعني حكمة- فقال له رسول الله: اعرضها. فعرضها عليه، فقال له: إن هذا الكلام حسنٌ، والذي معي أفضل من هذا، قرآنٌ أنزله الله تعالى عليّ، هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه وقال: إن هذا القول لحسن"(1).

ولعل الدليل المهم الذي يؤكد شيوع الكتابة هو عملية افتداء أسرى بدر والذين لم يستطيعوا فداء أنفسهم أن يعلّم كل واحدٍ منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة،وكان لا يتم سراح الأسير إلا إذا تحقق منه تعليم العدد المطلوب. وهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على عدم ندرة الكتابة لأن الذين حاربوا في بدر من المشركين كانوا تسعمائة وخمسين والذين وقعوا في الأسر منهم كانوا "قرابة سبعين"(2).

فكان في هذا العمل من نبينا الكريم دفعٌ للمسلمين في هذا المضمار. ويروى أن الرسول الكريم ﷺ أذن لعبدالله بن عمروؓ بتقييد الحديث، وقد "كان قارئاً للكتب المقدسة، وكان يكتب السريانية والعبرية"(3) وعلى هذا الأساس فإن الحديث النبوي قد " دُوِّن على عهد رسول الله وواصل الصحابة والتابعون تدوينه بعد ذلك، وإن الحفظ والرواية الشفهية قد سارتا جنباً إلى جنب مع الكتابة والتدوين لا يفصل بينهما فاصل من الزمن ولا ينفي وجود إحداهما الأخرى"(4).

كما كان من اهتمامه أيضاً أن أظهر كُتَّاب متنوعون في شتّى المجالات التي تتطلبها الدعوة الإسلامية، فكان منهم من يكتب الوحي، ، ومنهم من يكتب حوائجه، ومن يكتب في حوائج الناس، وقد بلغ عدد من قاموا بالكتابة للرسول ستة وعشرين كاتباً، ولم تكن الكتابة محصورة على ما ذكرنا بل أخذت في الانتشار تسجل كل ما يهم أمر المسلمين في شؤون حياتهم الدينية والدنيوية(5). وقد

---

(1) السيرة النبوية،ابن هشام 37/2 وينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص62.

(2) طبقات ابن سعد1/2، 14 للإستزدة عن معرفة أسرى بدر ينظر: السيرة النبوية 2/ 281 .284.

(3) مختلف الحديث، ص 365 366..

(4) مصادر الشعر الجاهلي، ص144.

(1) نهاية الأرب 158/18.

كان يكتب للوفود التي تأتيه كتابات ورسائل، ولم يكن ذلك حصراً على القبائل العربية الوافدة إلى الرسول الكريم ﷺ وإنما تعدَّت ذلك إلى البلاد المجاورة، فقد أرسل رسله بالكتب إلى الملوك المجاورين يطلب منهم الدخول في الإسلام. ومن هذه الرسائل رسالته إلى هرقل وهي" بسم الله الرحمن الرحيم.من محمد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلمْ تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم اليريسين،﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاًولا يتخذ بعضنا بعضاًأرباباًمن دون الله فإن تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾(2).وقد أرسل مثل هذه الرسالةإلى النجاشي ملك الحبشة وإلى كسرى ملك الفرس"(3).

وقد كثر الكتَّاب والقراء في عهد الرسول ﷺ وعلى هذا الأساس حظي الكتَّاب بمنزلة رفيعة توزعت مهمتهم وأبعادها، فقد جعلوهم في مراتب وقدروهم منازل: فكتَّاب يكتبون بين يديه ﷺ فيما يعرض من أمور حوائجه ؛ وآخرون يكتبون بين الناس المداينات وسائر العقود والمعاملات، وآخرون يكتبون أموال الصدقات، وكاتب يكتب خرص الحجاز، وآخر يكتب مغانم رسول الله ﷺ وثالث يكتب إلى الملوك ويجيب رسائلهم ويترجم بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية، فضلاً عن الكتَّاب الذين يكتبون الوحي(4). فأمر الكتابة لم يكن هيِّناً يسيراً لأن الأدلة التي ذكرناها تكفي على شيوعها وانتشارها في الأمصار العربية ومع هذا سنزيد من النماذج حتى يبلغ الأطمئنان غايته، ومن الأمثلة المهمة التي يجب أن نذكرها :المكاتبات الشعرية التي جرت مع بواكير الدعوة الإسلامية بين كعب بن زهير الذي كان يعيش على جاهليته وأخيه بجير الذي انشرح قلبه للإسلام، وكانت هذه القصة مشهورة في التاريخ العربي، فقد كان كعب من المعارضين

(2) م. ن 158/18. والآية في سورة آل عمران:64.

(3) ينظر:إعجاز القرآن للباقلاني134.

(4) ينظر قضايا الشعر في النقد الأدبي، الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد، ص 18.

obeikandl.com

للدعوة الإسلامية بعكس أخيه، وقيل: إنهما خرجا إلى النبي فقال: كعب لبجير: القَ هذا الرجل، وانظر ما يقول. فتقدم بجير وأسلم وحسن إسلامه في أول لقاء له مع النبي فبلغ ذلك أخاه كعباً فقال:

ألا أبلــغ عنِّــي بجــيراً رســالةً … فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكَا
شـربت مـع المـأمون كأسـاً رويَّـةً … فأنهلــك المــأمون منهــا، وعلَّكَــا
وخالفـت أسـباب الهـدى وتبعتـه … علــى أي شِــيءٍ ويــب غــيرك دلّكــا
علــى خُلــقٍ لم تلــفِ أمّــاً ولا أبــاً … عليـه ولم تُـدرِكْ عليـه أخـاً لكـا[1]

و"كانت قريش تسمِّي النبي المأمون والأمين فلما بلغت هذه بالأبيات بجيراً أنشدها النبي ﷺ فقال: صدق ! أنا المأمون وإنه لكاذبٌ قال أجَلْ لم يُلْفِ عليه أباه ولا أمه على الإسلام. فأجابه بجير:

مَنْ مُبْلِـغ كعبـاً فهـل لـك في الـتي … تلــومُ عليهــا باطــلٌ وهــي أحــزمُ
إلى الله لا العُـزِّي ولا الّـلات وحـده … فتنجـو إذا كــان النجــاءُ وتســلمُ
لـدى يـوم لا ينجـو ولـيس بمُفْلَـتٍ … مــن النــار إلا طــاهر القلــب مُســلمُ
فــدِينُ زُهــيرٍ وهــو لا شــيءَ دينــه … وديــنُ أبــي ســلمى علــيَّ محــرم"[2]

فلما قدم رسول الله المدينة.. كتب بجير إلى أخيه " إن النبي يهم بقتل كل من يؤذيه من شعراء المشركين وإن ابن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب قد هربا فإن كانت لك في نفسك حاجةٌ فأقدم على رسول الله فإنه لا يقتل أحداً جاء تائباً، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجاتكَ من الأرض " وفي رواية: إنه من شهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، قبل منه وأسقط ما صدر منه[3]. وبعد محاورات ورسائل شعرية بين الأخوين الشقيقين لتبرير موقف كل واحد منهما في تجسيد مفهوم الصراع بين مبدأ التوحيد الممثل بالإسلام وفكرة الوثنية التي آمن بها كعب، وتبعاً لذلك فقد تهدده الرسول الكريم وأهدر دمه وبعد أن أخبره بجير

---

(1) ديوان كعب بن زهير،ص 25. وينظر: المذاكرة في أخبار الشعراء، ص 57 مع اختلاف يسير في الأبيات.

(2) ديوان كعب بن زهير، ص 26

(3) ينظر: المذاكرة في أخبار الشعراء، ص 57.

وبعث إليه كتاباً فلما أتاه كتاب بجير ضاقت الأرض بكعب، وأشفق على نفسه وأرجف به من كان في حاضره وقالوا هو مقتول فأبت مزينة أن تأويه ورفضته قبائل أخرى، بعد أن تنكر له أفراد عشيرته وأصدقاؤه، فأحس بالغربة والشتات والتهلكة، فسدت الأبواب بوجهه، ولم يجد من بدّ من الدخول في الإسلام، فانشرح قلبه له وأسلم وحسن إسلامه، فجاء إلى النبي تائباً وأنشده قصيدته التي يقول فيها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ متيّمٌ إثرها لم يفد مكبولُ

ويقال إنه لمّا وصل إلى قوله:

إن الرسولَ لنورٌ يستضاء بهِ مهنّدٌ من سيوف الله مسلولُ

أشار الرسول ﷺ بكمه إلى من حواليه من أصحابه أن يسمعوا، ويروى أن كعباً أنشد من (سيوف الهند) فقال النبي ﷺ قل (من سيوف اللّه) وكان أن أخذ بها ولما بلغ قوله:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلةٍ حَدباءَ محمولُ

أُنبئت أن رسولَ الله أو عدني والعفو عند رسول الله مأمولُ(1)

فهذه كلها حقائق وحجج دامغة على ظهور الكتابة بهذا الامتداد.

ومن المعروف أن الخليفة عمر بن الخطاب سمح بتدوين الشعر الجاهلي وكذلك اعتنى بعض الصحابة بتدوين الشعر(2).

وقد روى أبو الفرج خبراً مؤدَّاه" أن الأنصار كان لها كتاب في الشعر تجدده كلما خافت بلاه..وتفصيل ذلك أن عبدالله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب الفهري أنشد حسان بن ثابت مما كانا قالاه في هجائه وهجاء الأنصار حتى فار فصار كالمرجل غضباً، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة فخرج حسانﷺ إلى عمر بن الخطابﷺ فقص عليه قصته، فأمر بهما فردا إليه، ثم أمر حساناً أن ينشدهما في ملأ من صحابة رسول الله حتى اشتفى، ثم قال لمن حضره:"إني كنت نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم، وبث

(1) ينظر: كتاب الزينة 113-115 والأبيات في ديوان كعب بن زهير 26-37.

(2) مصادر الشعر الجاهلي، ص 157.

obeikandl.com

القبيح فيما بينكم، فأما إذا أبوا فاكتبوه واحتفظوا به ؛ فدوّنوا ذلك عندهم.قال خلاد بن محمد: فأدركته والله وإن الأنصار لتجدده عندها إذا خافت بلاه." [□]ويروى أن عمر بن الخطاب "كتب.. إلى المغيرة بن شعبة وهو واليه على الكوفة: أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك، ما قالوه في الإسلام؟ فأرسل إلى الأغلب العجلي الراجز فقال له: أنشدني، فقال:

ارجـــزاً تُريـــد أم قصـــيدا　　　لقـــد طلبـــتَ هيّنـــاً موجـــودا

ثم أرسل إلى لبيد فقال: أنشدني، فقال: أن شئت ما عفا عنه(يعني الجاهلية) فقال: لا أنشدني ما قلت في الإسلام، فانطلق فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم أتى بها، وقال: "أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر فكتب بذلك المغيرة إلى عمر، فنقّص من عطاء الأغلب خمسمائة، وجعلها في عطاء لبيد، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة"[بر].

---

(3) الأغاني 144/4.

(2) الأغاني 94/4،و64/14 فيما روي أن عمر بن الخطاب هو الذي قال:للبيد "أنشدني من شعرك فقرأ سورة البقرة، وقال: ما كنت لأقول الشعر بعد أن علمني الله سورة البقرة". الشعر والشعراء 274/1 ويقال: "إن عُمرَ كتب في جواب ذلك أنه لم يعرف أحد من المسلمين شعر الإسلام غير لبيد. الشعر والشعراء: 88/1. ويقال:إن لبيداً لم يقل في الإسلام إلاّ بيتاً واحداً وهو:

ما عاتب الحر الكريم لنفسه　　　والمرء يصلحه الجليسُ الصالح

وقيل هو:

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي　　　حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

ينظر: الشعر ولشعراء 1/، 75والبيت الأول في الديوان،ص357،ولم أعثر على البيت الثاني في الديوان ومن استقرائنا شعر لبيد نجد أنه كتب بعد الإسلام شعراً بدليل البيت الذي أعجب به الرسول ﷺ،و القصيدة نفسها تحمل معاني إسلامية والأثر الإسلامي واضح فيها ومن مطلعها:

ألا تسألانِ المرءَ ماذا يحاولُ　　　أنَحْبٌ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ

ينظر: والأغاني 94/14 والبيت في الديوان.254.

obeikandi.com

ويروى أيضاً أن عبدالله بن عمرو بن العاصﷺ كان يكتب أحاديث الرسولﷺ بأذن منه، وكان يسمي صحيفته التي يكتب فيها: "الصادقة "ويقال إنه كتب فيها ألفاً من الأحاديث(□). ولعبدالله بن عباس في هذا الجانب باع طويل، فقد كان كثير الرواية للشعر، كثير التدوين لما يقع عليه من أحاديث الرسولﷺ، وتفسيره لآيات القرآن الكريم، وقد قال عنه موسى بن عقبة يصف كثرة كتبه "وضع عندنا كريب حمل بعير من كتب ابن عباس، فكان علي بن عبدالله بن عباس إذا أراد الكتاب، كتب إليه بصحيفة كذا وكذا فينسخها ويبعث بها" (بر).

ومن الأدلة الأخرى التي تؤكد مدى معرفة العرب بالكتابة والقراءة ما رواه الطبري بقوله: " إن خالد بن الوليد حين نزل الأنبار رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها "(تر) ويقال إنه كان لقريش وثقيف كتابُ على غرار كتاب الأنصار(بر) أما أبو هريرةﷺ فقد كان أكثر الصحابة رواية للحديث، وكان يدوَّن الحديث، وقد جاء في جامع بيان العلم " قال ابنٌ لعمرو بن أمية الضمري: تحدثت عند أبي هريرة بحديث فأنكر، فقلت قد سمعته منك فقال: إن كنت سمعته مني فهو مكتوبٌ عندي فأخذ بيدي إلى بيته فأرانا كتباً كثيرة من حديث رسول اللهﷺ فوجدنا ذلك الحديث"(سم) ويروى عن ابن شهاب الزهري أنه كان مولعاً بالقراءة والتدوين،وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله واشتغل بالنظر فيها عن كل شيء من أمور الدنيا ،فقالت له امرأته يوماً: "والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر" وقد بلغت كتبه من الكثرة في خزائن الوليد بن يزيد أنها حملت على الدواب حينما قتل(شم). وروى صاحب الأغاني خبراً يفيد أن رجلاً هو عبد الحكم بن عمرو اتخذ بيتاً من البيوت وجعله مكتبة عامة ونادياً وذلك في زمن الأحوص

---

(2) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص 144.

(3) ينظر طبقات ابن سعد 216. والأمالي 112/2.

(1) تاريخ الطبري 4 /20.

(2) ينظر الأ غاني 4 / 146 ؟.

(3) جامع بيان العلم74/1 نقلاً عن مصادر من الشعر الجاهلي،. ص 144.

(6) ينظر: وفيات الأعيان 571/1 وينظر :مصادر الشعر الجاهلي 154.،وطبقات ابن سعد 136/2.

obeikandl.com

الأنصاري [1]. وروي أن أبا عمر بن العلاء يذهب إلى عمر بن دينار ومعه كتابه فكان يقيد في كتابه مما يسمعه ما لم يكن فيه[2]، وكان أيضاً يسأل عن الشعر واللغة والشعر الجاهلي على وجه الخصوص بدليل ما قاله الأصمعي"جلست إلى أبي عمر بن العلاء عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامي"[3] ولهذا بلغت عنايته بالشعر الجاهلي مبلغاً كبيراً[4] وقال أبوعبيدة: "كان أبوعمرو أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس.. وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء، قد ملأت بيتاً له إلى السقف، ثم أنّه تقرّأ فأحرقها كلها. فلما رجع بعد إلى علمه الأول لم يكن عنده إلاّ ما حفظه بقلبه. وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية" [5].وقد رأى أبو حاتم السجستاني بعض كتب حماد في الشعر الجاهلي، وكان يرجع إليها ،ويثبت ما يجده فيها زائداًعلى ما جمع من الشعر، وإن كان نص على هذه الزيادات هي من الشعر المصنوع" [6].

وقد ذكر ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء أن العرب دونوا أشعارهم في كتب وقال:"وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه أشعار الفحول، وما مدح هو وأهل بيته به، صار ذلك إلى بني مروان أو صار منه"[7]ويقابل هذا الخبر ماذكره ابن جنّي عن حمّاد الراوية وذكر فيه أن النعمان أمر بنسخ أشعار العرب في الطنوج أي الكراريس "ثم دفنها في قصره الأبيض فلمّا كان المختار بن أبي عبيدة قيل له أن تحت القصر كنزاً فاحتفر فأخرج تلك الأشعار فظلّت في أيدي الكوفيين زمناً ،حتى أنها منحتهم صفة التفوق في الشعر على غيرهم"[8] ومثل ذلك مانقل عن

---

(1) العمدة 28/1.

(2) طبقات ابن سعد 2/ 42.

(3) البيان والتبيين 1/ 221. وينظر العمدة 90/1.

(4) ينظر: العمدة 1/ 88 89 والمزهر 2/ 304.

(5) طبقات فحول الشعراء1/ 321.وينظر وفيات الأعيان(ط محي الدين) 136/3.

(6) مصادر الشعر الجاهلي، ص 157.

(7) طبقات فحول الشعراء1/ 25.

(8) الخصائص 388/1.

ابن الكلبي أنه كان يستخرج رواياته من سجلات الحيرة، وما في كنائسها من كنوز الأدب العربي القديم [1] ومن الأخبار المهمة التي تؤكد شيوع الكتابة ما ذكره ابن النيم عن ابن السكيت عن أبي عمرو الشيباني " مات أبو عمرو الشيباني وله مائة وثماني عشر سنة، وكان يكتب بيده إلى أن مات وكان ربما استعار مني الكتاب وأنا آنذاك صبي أخذ عنه وأكتب من كتبه "[6]. وتعد المعلقات، والحوليات الأنموذج الرئيس التي تؤكد كتابة الشعر في الجاهلية يضاف إليه ماذكرناه من آراء للنقاد وما استنبطه الباحثون من أقوال الشعراء القدماء في تدوين شعرهم، وقد ذكرنا نماذجَ أكدت ما نحن بصدده. وقد قال الدكتور عادل البياتي:"لقد توفرت لدينا عشرات الأدلة الاستنباطية العقلية والإشارات المذكورة في الموارد الإسلامية حول تدوين الشعر قبل الإسلام".[1] ويرى الدكتور ناصر الدين الأسد: " إننا نستطيع الجزم بأن شعرنا العربي القديم قد كتب في العصر الجاهلي في صحائف متفرقة أو في دواوين مجموعة، وقد اعتمد علماء الطبقة الأولى من الرواة على هذه المدونات وإنهم قد اعتمدوها مصدراً من مصادر تدوينهم لهذه الدواوين التي رواها عنهم تلاميذهم "[4].

ونخلص من هذا إلى أن الكتابة مع وجودها بالقدر المناسب فإن تدوين الشعر مهما كان امره لم يكن من السعة والانتشار بحيث يمكن الحصول على نسخ منه في الاستطاعة تداولها وإذاعتها ،ومن ثم كانت حاجة الشاعر والقبيلة ملحة في الاعتماد على الرواية والحفظ، وعلى هذا الأساس حمل العلماء الثقات، وأندادهم مهمتهم على أكمل وجه فظلوا يمتحنون الأشعار ويوثقون الأخبار والمرويات، ثم يدونون ما يصح لديهم منها في ذلك على الرواية الصحيحة، والفحص الدقيق، والمعرفة الأصلية بمذاهب الشعراء وأساليبهم وتمييز الزائف و المنحول من السليم

---

(1) تاريخ الطبري 2/ 1،37/ 770.

(6) الفهرست، ص 107.

(1) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، ص 81.

(4) مصادر الشعر الجاهلي، ص 482.

obeikandl.com

والصحيح من أشعارهم حتى تمكنوا بعد هذا الجهد السخي أن يدونوا لأجيالهم هذا الكم الهائل من الشعر الجاهلي من دون أن يفقد قيمته الموضوعية وأساليبه الفنية.

obeikandl.com